التوظيف الاجتماعي للصور الهوميرية في شعر أرخيلوخوس

د. محيى الدين محمد عبد الهادى مطاوع
المشرف والمنسق الأكاديمي لبرنامج الدراسات الدولية المتوسطية

تؤكد معظم المعلومات التي وصلتنا أن أرخيلوخوس (ο Αρχιλοχος)[1] كان ينتمي إلى أسرة نبيلة، فجده الأكبر تيلليس (ο τελης) هو الذي أحضر عبادة الربة ديميتر (η Δημητηρ) إلى جزيرة باروس (η Παρος) إبان القرن الثامن ق.م. وقد تم تخليد ذكراه بإقامة تمثال له في معبد دلفي على يد الفنان بوليجنوتيوس؛ كما أن والده تليسكليس (ο τελισκλης) حظى بمكانة اجتماعية متميزة، وفي عام ٦٨٠ ق.م تم تكليفه بتأسيس مستعمرة في جزيرة ثاسوس(η θασος). ومع ذلك قد حاول البعض التقليل من شأن أرخيلوخوس بقولهم إن أمه كانت جارية[2]، وعلى الرغم من تناقض الأراء حول هذه القصة، إلا أن عبودية أم أرخيلوخوس، إن صحت، لم تكن عائقًا له لكي يحتل مكانة مهمة أو في أن يأخذ فرصته لتحقيق أعمال قيمة، فمثل هذا النسب لم يكن يمثل عائقًا فعليًا، أو كان يضع الشخص في مكانة أقل من الآخرين، بالإضافة إلى ذلك لم يكن المجتمع اليوناني في ذلك الوقت ينظر للجارية، أو بمعنى آخر، أسيرة الحرب، نظرة دونية، ولعل أندروماخي (η Ανδρομαχη) من ايروكليا في الإلياذة خير دليل على ذلك. ونظرًا لأننا لا نعلم إن كان لتليسكليس أبناء آخرون، لذا فإن القصة المعروفة حول نبؤة دلفي، حيث بشر كاهن معبد دلفي والده بأن ابنه سيكون خالد الاسم، سوف نفترض أنها تدور حول أرخيلوخوس[3].

وسوف نتطرق في هذا البحث إلى الحديث عن النقاط الآتية:

١. المفهوم الاجتماعي للحرب في المجتمعين الهوميري والأرخيلوخي.

٢. الأسلحة ومغزاها الاجتماعي عند الشاعرين.

٣. النموذج البطولي بين هوميروس وأرخيلوخوس.

أولاً: المفهوم الاجتماعي للحرب في المجتمعين الهوميري والأرخيلوخي

فرضت الحرب (ο πολεμος) نفسها كوسيلة اجتماعية لتحقيق أهداف بعض المجتمعات، سواء كانت أهداف "توسعية" مثلما حدث في المجتمع الهوميري أو "استعمارية" مثلما حدث في المجتمع الأرخيلوخي"[٤]. وبينما اهتم المؤرخون بتسجيل تلك الأحداث الحربية بوصفها وقائع تاريخية، اهتم المؤلفون الدراميون (ملحميون، دراميون، شعراء) بإبراز البُعد الإنساني في هذه الأحداث الحربية، وبالتركيز على البعد الإنساني في هذه القصص الحربية، تحولت الأحداث التاريخية إلى موضوعات ملحمية، وتم صياغتها، في بادئ الأمر، في أشكال ملحمية، والتي أصبحت بدورها مصدرًا أدبيًا لكثير من الأعمال الفنية سواء كانت في أشكال مسرحية أو قصائد غنائية. وما يجب أن نشير إليه هو أن اختلاف هدف الكاتب عن الآخر قد يتحدد عن طريق القالب الفني، فبينما يهتم فن التأريخ- إذا اعتبرنا أن كتابة التاريخ فن- بتسجيل تلك الأحداث، كان الشعر الملحمي (η επικη ποιησις) يهتم بإبراز الدور البطولي للإنسان بما يتوافق مع دوره في المجتمع، فالإهتمام الأول للملحمة هو الدور البطولي للإنسان في تحقيق إنجازات المجتمع. وبينما كان العمل المسرحي يهتم بالبعد الإنساني والإجتماعي في هذه الموضوعات. كان الشعر الغنائي (η λυρικη ποιησις) يهتم بإبراز تأثير تلك الأحداث على الوضع الاجتماعي للإنسان، ومن ثم نستطيع القول إن الموضوع الملحمي لا يقتصر على الشكل الفني المعروف باسم الملحمة، بل يمكن معالجة موضوعات ملحمية من خلال بعض الأشكال الفنية الأخرى مثل الأعمال المسرحية والقصائد الغنائية.

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو كيف يستطيع الشاعر تحويل القصة العسكرية إلى ملحمة بطولية؟

من الممكن تحديد خطوات تحويل الأحداث العسكرية إلى ملحمة بطولية في النقاط الآتية:

١. دمج بعض الأساطير (οι μυθοι) داخل هذه الأحداث، فمن خلال الأساطير يستطيع الكاتب إلقاء الضوء على القيم والأبعاد الإنسانية للبطل الملحمي بوصفه أنموذجًا للرجل المثالي في مجتمعه.

٢. دمج بعض الشخصيات الأسطورية مع إيجاد سبب منطقي لدمج هذه الشخصيات، فعلى سبيل المثال، كانت مشاركة قادة الإغريق في الحرب ضد طروادة نتيجة لإلتزامهم بالعهد مع والد هيلين (η Αλενη) بالدفاع عن هيلين وزوجها منيلاؤس (ο Μενελαος) إذا تعرضا لخطر ما°، إلا أنه لم يكن هناك سبب لمشاركة أخيليوس (ο Αχιλλευς)، ومن ثم أصبح على هوميروس (ο Ομηρος) إيجاد سبب منطقي لمشاركة أخيليوس!

وقد استطاع هوميروس ببراعة صياغة الأحداث التي تجعل من مشاركة أخيليوس شيئًا مقبولاً، وكانت البداية هي النبوءة التي أكدت أن الإغريق لن يستطيعوا قهر مدينة طروادة بدون أخيليوس، ومن ناحية أخرى كانت ثيتيس (η Θητις) أم أخيليوس تبحث له عن طريق للخلود، وجاءت حرب طروادة لتحقق لأخيليوس وأمه ما يبحثان عنه، فوفقًا لما جاء في الإلياذة كان وجود أخيليوس على سواحل طروادة بمحض اختياره، على الرغم من معرفته بأنه لن يعود إلى وطنه مرة أخرى فيقول:

ει μεν κ' αυθι μενων Τρωων πολιν αμφιμαχωμαι,
ωλετο μεν μοι νοστος, αταρ κλεος αφθιτον εσται·
ει δε κεν οικαδ' ικωμι φιλην ες πατριδα γαιαν,
ωλετο μοι κλεος εσθλον, επι δηρον δε μοι αιων

εσσεται, ουδε κε μ᾽ ωκα τελος θανατοιο κιχειη.

فإذا ما أخترت البقاء في مدينة طروادة لأحارب
فلن تتاح لي العودة، وإن كنت سأنال شهرة لا تزول.
أما إذا عدت إلى أرض وطني الحبيب
فسأفقد سمعتي الطيبة، وإن كانت حياتي ستمتد طويلاً،
إذ لن ألقى الموت سريعًا.
(الكتاب التاسع، الأبيات ٤١٢- ٤١٦)

وتظهر براعة هوميروس في اختياره لأخيليوس بوصفه الشخصية الرئيسة في الإلياذة، فهو يحمل كل مقومات البطل (ο ηρως) الذي يعبر عن أفكار هوميروس، فهدف أخيليوس الشخصي تحقيق المجد الإنساني، وليس الانتقام من الطرواديين، فلم يكن هناك نزاع شخصي بين أخيليوس والطرواديين، مثلما يتضح من قوله.

ου γαρ εγω Τρωων ενεκ᾽ ηλυθον αιχμηταων
δευρο μαχησομενος, επει ου τι μοι αιτιοι εισιν·

إني لم آت هنا من أجل (الانتقام من) حاملي الرماح من محاربي
طروادة، فهم لم يسيئوا لي قط، إنهم لم يتحرشوا على أية صورة
بأبقاري أو بخيلي.
(الكتاب الأول، الأبيات ١٥٢- ١٥٣)

وهذا المجد الإنساني الذي يسعى إليه أخيليوس يتفق مع أهداف مجتمعه، أو بكلمات أخرى كان مجد أخيليوس في هذه الحرب يرتبط بالدفاع عن مكانة وكرامة الأخيين، فالسبب الرئيس لحرب طروادة هو اختطاف هيلين والهدف القومي هو استردادها، ولذلك نرى أخيليوس يمتنع عن الحرب ويقع في حيرة من أمر أجاممنون، الذي، من ناحية، حشد الأخيين للدفاع عن كرامة اليونانيين واسترداد هيلين، إلا أنه، من ناحية أخرى، لم يتورع عن سلب أخيليوس محظيته أمام كل القادة الذين وقفوا ساكنين[٦]، فيقول أخيليوس:

τι δε δει πολεμιζεμεναι Τρωεσσιν

Αργειους; τι δε λαον ανηγαγεν ενθαδ' αγειρας
Ατρειδης;

ولكن لماذا ينبغي أن يحارب الأرجيون
الطروادييين؟ لماذا أبحر بنا ابن أتريوس
وحشدوا الجيوش هنا؟
(الكتاب التاسع من الإلياذة، الأبيات ٣٣٧- ٣٣٨)

وعلى الرغم من غزارة الموضوعات التي تعرض إليها هوميروس في إلياذته، إلا أن أهم هذه الموضوعات التي تتناسب مع موضوع هذا البحث هي:

١. الحرب هي وسيلة إنسانية يتغلب بها الإنسان على عجزه وقصوره أمام الآلهة.

٢. الشجاعة والتميز في الحرب هما طريق الحصول على الثروات والفضيلة والمجد، تلك الأشياء التي تعطي الحياة الإنسانية معنى وقيمة. وإنجازات المحاربين في ملحمة هوميروس كانت بسبب شجاعتهم في المعركة، وقد وصفت تلك الشجاعة بالكلمة "الفضيلة" (η αρετη) والجائزة المادية التي سيحصل عليها عُرفت بالكلمة "تقدير" (η τιμη)، وكانت الرغبة الأولى عند كل محارب في أن يكون "الأفضل" (ο αγαθος) لكي يكون جدير بهذا التقدير[٧].

٣. إلقاء الضوء على بعض القيم الأخلاقية، والتي عبر عنها من خلال بعض العبارات مثل "من العار أن تُهزم"، " تناول لحوم البشر خطأً" " الشخص النبيل هو الذي يبذل أقصى جهده في المعركة". وقد اهتم هوميروس بتوضيح هذه المبادئ الأخلاقية لتقييم أفعال البشر[٨].

مما لاشك فيه أن الإلياذة والأوديسية من أهم الموضوعات الملحمية في تاريخ الأدب، فإنهما يمثلان مصدرًا لا ينضب للموضوعات الأدبية بمختلف أشكالها. فعلى سبيل المثال، كان بعض الشعراء الغنائيين، بهدف الارتقاء بموضوعاتهم الشخصية، يتعمدون تصوير موضوعاتهم الشعرية في جو ملحمي، أو بالتحديد في فلك الجو

الملحمي للإلياذة والأوديسية. والمؤكد أن أرخيلوخوس تأثر كثيرًا بالإلياذة والأوديسية- فهو أول شاعر جاء بعد هوميروس- واستعان بكثير من الصور البلاغية والعبارات الهوميرية، وقد نتج عن هذا أن الباحثين أخضعوا شعره للمقارنة بما جاء عند هوميروس سواء في الإلياذة أو الأوديسية، إلا أنه لم يتعمد تقديم صورة بطولية مناقضة للنمط الهوميري، فلم يكن يتعمد أن يكتب ما يناقض ما جاء عند هوميروس، كما أنه لم يلجأ إلى الصور الهوميرية من أجل خلق جو ملحمي لموضوعه الشخصي[٩]. فموضوعاته الشعرية كانت منبثقة من مشاعره وتجاربه الشخصية، التي وظفها في معالجة بعض الأمور الاجتماعية بوصفه رمزًا لجيله أو لطبقة اجتماعية بعينها؛ ومن ثم فإذا كان الشخص الأول الموجود في شعر أرخيلوخوس يعبر عن شخص الشاعر نفسه، إلا أنه يرمز إلى جيل كامل يتعرض للمعاناة نفسها. كما أن أسلوبه الذي تعمد فيه هجر الوزن الملحمي يشير إلى أن هدفه كان إقحام المعاناة الذاتية داخل النموذج الملحمي الذي كان قد أصبح زخرفيًا أكثر من كونه تعبيرًا عن الحقيقة البطولية، فهو لم يكتف بتصوير الأحداث الاجتماعية المعاصرة والتهكم عليها، أو إعادة صياغة وجهات النظر المعاصرة، مثل الفكر الإستعماري الذي سيطر على العقلية الإغريقية إبان القرن السابع ق.م. ولكنه كان يعبر عن رد فعل الشاعر وشعوره بوصفه من عامة الناس حول هذا الاتجاه الجديد[١٠].

كان أرخيلوخوس يجسد مزيجًا بين التقليد وبين التغيير الجديد. فمن ناحية كان يعتمد بشدة على الصياغات الملحمية، ومن ناحية أخرى كان يقدم سلسلة من الكلمات والعبارات الحديثة. والجدير بالذكر أن قدرته على ابتكار أوزانه المختلفة، جعلته صاحب فضل في ازدهار الأغنية الشعبية من بعده، فقد كان صاحب السبق في تحويل الأشكال اليومية إلى وسيلة أدبية جديرة بالاهتمام[١١]. فشعر أرخيلوخوس كان مزيجًا من التجارب الشخصية والموضوعات الحربية التي تهم المجتمع الأرخيلوخي، وعلى الرغم من أن الشاعر ابتكر مادته الشعرية من تجاربه ومشاعره الشخصية، إلا أنه لم يغلق نفسه عليها، وإن كانت سابفو (η Σαπφω) سخرت شعرها في معالجة وضع المرأة الاجتماعي فإن أرخيلوخوس وظف شعره في نقد الوضع الاجتماعي

لجيله، وعلى الرغم من أن تجاربه الشخصية فرضت عليه أسلوب التهكم والسخرية ليعبرا عن شخصه، فأصبحا من السمات المميزة لأسلوبه، ولكن الحقيقة هي أن أسلوب أرخيلوخوس كان وسيلة الشاعر في عرض موضوعاته، وليس هدفًا في حد ذاته[١٢].

على الرغم من أن الحرب فرضت نفسها أيضًا على مجتمع أرخيلوخوس، إلا أن قيمتها الإنسانية لم ترجع فقط إلى كونها سمة للمجتمع الأرخيلوخي الذي تميز بالفكر الاستعماري، أو بوصفها وسيلة لتحقيق أهداف المجتمع التي يمكن أن نحصرها في تأسيس مدن جديدة، بل لكونها وسيلة الشعب في الحفاظ على أمنه من الأعداء، ولكونها آداة تحقيق الاستقرار للجيل الجديد، فقد كانت هذه المستعمرات بمثابة حلم تحقيق الاستقرار لمعظم اليونانيين في ذلك الوقت لأسباب مختلفة. ومن ثم نستطيع القول إن أرخيلوخوس كان يكتب في موضوعات ملحمية لأن عصره، من ناحية، كان معروفًا بوصفه عصر تأسيس المستعمرات، ومن ناحية أخرى كان أرخيلوخوس من المشاركين في تأسيس إحدى المستعمرات، والأكثر من ذلك، أنه عمل لفترة من الزمان كجندي مرتزق ومات مقتولاً في إحدى المعارك[١٣].

لقد اتخذ أرخيلوخوس من نفسه ومن تجاربه الشخصية وخاصة خيبة أمله موضوعًا اجتماعيًا، فأصبح رمزًا لجيله، وإذا كانت مستعمرة ثاسوس بالنسبة له بمثابة بداية جديدة، خاصة بعد خيبة أمله في قصة زواجه من الفتاة التي كان قد أحبها. إلا أن خيبة أمله هذه المرة لم تكن ذاتية، فهي خيبة أمل جيل كامل يبحث عن الاستقرار من خلال العثور على وطن جديد. فآماله في وطن جديد كانت نفس آمال جيله، ولذلك استخدم عبارات تشير إلى خيبة آمل الجيل الجديد في العثور على وطن، ذلك الجيل الذي كان يمني نفسه بحياة جديدة هناك ولكن خابت آماله ولم يجد الحياة التي كان ينشدها في هذه الجزيرة، فإنعكس هذا أيضًا على أشعاره، فنجده يعبر عن خيبة أمله في السخرية من الوضع الجديد الذي لاقاه في ثاسوس، فيقول " إنني حزين على أحوال الثاسيين" (κλαιω τα Θασιων,) في الشذرة رقم (٢٠)، كما يتحدث عن اليونانيين التعساء الذين رحلوا إلى هناك (الشذرة ٥٤)، وقوله "باروس

حيث أشجار التين وحياة البحر" (εα Παρον και συκα κεινα και θαλασσιον βιον...) في الشذرة رقم (١١٦). وقوله "وأسفاه لكل اليونانيين الذين أتوا إلى ثاسوس" (Πανελληνων οιζυς ες Θασον συνεδραμεν.) في الشذرة رقم (١٠٢)، وقوله "ثاسوس المدينة التعيسة" (Θασον δε την τρισοιζυρην πολιν) في الشذرة رقم (٢٢٨)[١٤].

ثانيًا: الأسلحة ومغزاها الاجتماعي

مما لا شك فيه أن المجتمعات التي كانت تعتمد في وجودها على الحرب سواء من أجل تحقيق الاستقرار أو من أجل تحقيق أهداف توسعية كانت تهتم بالأسلحة(τευχεα). فهي كما سبق وأشرنا كانت الوسيلة الوحيدة لتحقيق أهداف المجتمع، والشاعر الدرامي الذي كان يهتم بمثل هذه الموضوعات أضاف إلى الأسلحة أبعادًا إجتماعية وإنسانية تساعده في التعبير عن أفكاره، ففي الإلياذة كان الموضوع الرئيس لهوميروس هو حرب طروادة، ومن ثم كانت الأسلحة هي الوسيلة الوحيدة لقيام أبطال الإلياذة بعملهم وهو الحرب، ولكن هوميروس لم يكتف بذلك بل جعل الأسلحة من السمات الشخصية لأبطاله ووسيلة رئيسة لتحقيق الذات والتعبير عنها، وارتبطت قيمة الشخصية الهوميرية بقيمة الأسلحة، فعلى سبيل المثال، كانت أسلحة أخيليوس في البداية ملكًا لوالده بيليوس (ο Πηληιος)، وهو البطل القومي الذي حقق الكثير من الإنجازات، لدرجة أن الآلهة كافأته وزفت إليه الحورية ثيتيس وكانت تلك الأسلحة هي هدية زفافه، والمغزى هنا هو أن أسلحة أخيليوس، في بادئ الأمر، كانت ذات هدف قومي وتعبيرًا عن امتنان الآلهة لدور بيليوس القومي، وعندما أشار هوميروس إلى أن فقدان البطل لأسلحته كان بمثابة فقدان لقدراته على تحقيق أهداف مجتمعه، أضاف هوميروس بُعدًا آخر لأسلحة أخيليوس وهو إحساس المرء بذاته، أو بمعنى آخر أصبحت أسلحة أخيليوس عند هوميروس رمزًا لوجود البطل، ولعل إصرار أخيليوس على الانتقام من هيكتور، لم يكن قائمًا فقط على

رغبته في الانتقام لمقتل صديقه، بل كان يستند بقوة على الدفاع عن ذاته، أو بمعنى آخر عن وجوده وعن قدرته على أداء دوره الاجتماعي؛ والأكثر من ذلك أن هوميروس ربط بين أسلحة أخيليوس وقدرته وتميزه، وعندما تسبب باتروكلوس في فقدان أسلحة أخيليوس، سلب هوميروس من أخيليوس الصفات التي كانت تميزه عن باقي الأبطال مثل "سريع القدمين" و"مدمر المدن" وأصبح يندب حظه مثل النساء. وحين أصر هوميروس على قيام الآلهة بتصنيع أسلحة أخيليوس أضاف بعدًا جديدًا لأسلحة أخيليوس بل وأخيليوس نفسه، فلم يعد دوره هو اقتحام مدينة طروادة- ولعل موت أخيليوس قبل اقتحام طروادة هو خير دليل على ذلك- بل أصبح الآداة التي تنفذ إرادة الآلهة[١٥].

وتتضح أهمية الأسلحة عند هوميروس حينما جاء نستور (ο Νεστορ) ليبلغ أخيليوس بموت صديقه باتروكلوس (ο Πατροκλος) قال له:

κειται Πατροκλος, νεκυος δε δη αμφιμαχονται
γυμνου· αταρ τα γε τευχε᾽ εχει κορυθαιολος Εκτωρ.

إن باتروكلوس يرقد ميتًا بينما تتصارع الجحافل حول جثته العارية
بعد أن سلبه هيكتور ذو الخوذة اللامعة الأسلحة.
(الكتاب الثامن عشر، البيت ٢٠ وما يليه)

وكأن تعرض باتروكلوس لصراع الجحافل لم يكن بسبب موته بقدر الرغبة في تجريده من الأسلحة، وفي مكان آخر، وعلى الرغم من حزن أخيليوس على صديقه، إلا أنه ربط فاجعته بفقدان أسلحته فيقول لأمه:

τον απωλεσα, τευχεα δ᾽ Εκτωρ
δηωσας απεδυσε πελωρια θαυμα ιδεσθαι
καλα· τα μεν Πηληι θεοι δοσαν αγλαα δωρα

لقد فقدته، قتله هيكتور، سلبه أسلحته الرهيبة المهيبة
التي وهبتها الآلهة هدية ماجدة إلى بيليوس.

(الكتاب الثامن عشر، البيت ٨٣ وما يليه)

وبالإضافة إلى أن فقدان بطل هوميروس لأسلحته كان بمثابة فقدان البطل لقدراته على تحقيق أهداف مجتمعه فيقول عن نفسه:

αλλ᾽ ημαι παρα νηυσιν ετωσιον αχθος αρουρης,

وقد جلست هنا بجوار السفن، كعبء لا طائل منه على الأرض.

(الكتاب الثامن عشر، البيت ١٠٤)

وموجز القول كانت أسلحة هوميروس رمزًا للوجود الإغريقي الذي تجسد في فكر شعب إسبرطة حيث كان المبدأ السائد هو أن يعود المحارب منتصرًا أو محمولاً على الأسلحة[١٦].

وفيما يتعلق بأرخيلوخوس، فقد تحدث عن الأسلحة بواقعية شديدة، وقد اعتقد بعض الباحثين أن أسلحة أرخيلوخوس أكثر واقعية من أسلحة هوميروس، ولكن الحقيقة هي أن رمزية أسلحة أرخيلوخوس لم تختلف عن رمزية أسلحة هوميروس. فقد كانت الوسيلة الوحيدة لتحقيق أهداف المجتمع، والتي يمكن تحديدها في تاسيس مستعمرات جديدة والحفاظ على أمن المواطنين من اعتداءات المدن المجاورة. ولكن أرخيلوخوس لم يكتف بذلك، فأضاف إلى الأسلحة أبعادًا إنسانية أكثر، تعبر عن الواقع الذي عاشه هو بنفسه، فقد جعلها محور حياة الإنسان البسيط في اليونان، فبها يعثر على وطن جديد، ومنها يحصل على قوت يومه، وعليها يستند لاكتساب الشعور بالأمان[١٧]، فيقول في الشذرة الثانية:

εν δορι μεν μοι μαζα μεμαγμενη, εν δορι δ᾽ οινος

Ισμαρικος· πινω δ᾽ εν δορι κεκλιμενος. [١٨]

على رُمحي أعلق كعكتي المصنوعة من الشعير، على رُمحي أعلق نبيذي الإسماركي الذي أنهل منه وأنا متكئ على رمحي.

ولعل الاختلاف بين الشاعرين يرجع إلى الأسباب الآتية: أولاً: نوعية أهداف كل مجتمع، فأهداف مجتمع هوميروس أهداف توسعية تؤدي إلى تميز مجتمعه عن

باقي المجتمعات، ولذلك نرى أن أبطال هوميروس دائمًا ما يتحدثون عن المجد الذي ينتظرهم، بينما كانت أهداف مجتمع أرخيلوخوس أهداف إنسانية محضة، فتأسيس المستعمرات كان يضمن وجود وطن جديد للأجيال القادمة. ثانيًا: الأهداف الشخصية للبطل، فبينما كانت أهداف أبطال هوميروس تنحصر في تحقيق المجد الذي يخلد ذكراهم، سواء بالإنتصار أو الموت على أرض المعركة، كانت أهداف أبطال أرخيلوخوس تنحصر في تحقيق الاستقرار للشخص العادي. ولذلك أصبح الرمح عند أرخيلوخوس محور الحياة، فمن ناحية هو بيته الذي يحفظ طعامه، ومن ناحية أخرى يصبح الرمح خليله في الشراب، وهو متكأه الذي يستند عليه ليستريح، كما أنه يظل وسيلته الوحيدة التي يحصل بها على زاده ومتعته في الحياة[١٩].

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا، هو كيف استطاع أرخيلوخوس النزول بقيمة الأسلحة لدرجة أنه يتحدث عن تركه لأسلحته وراءه دون الشعور بالحياء على الأقل؟

يرجع الاختلاف في قيمة الأسلحة إلى عاملين، أولهما قدرة المرء على الحصول على تلك الأسلحة، ومثلما جاء عند هوميروس كانت أسلحة أخيليوس هدية من الآلهة لوالده مكافأة على إنجازاته القومية، وفي المرة الثانية كانت أسلحة أخيليوس من صنع الآلهة، أما عند أرخيلوخوس فكانت الأسلحة عبارة عن درع ورمح، ذلك الرمح الذي جرده أرخيلوخوس من كل القيم السامية الهوميرية، وجعله مجرد وسيلة لكسب العيش، والدرع الذي كان في متناول الجميع ويستطيع أي شخص شراءه في أي وقت، والعامل الثاني، دور الأسلحة في تحقيق البطل لأهدافه الشخصية والاجتماعية، فمن ناحية كان الأبطال الهوميريين يسعون إلى تحقيق المجد، الذي ينحصر في العودة منتصرين أو الموت على ساحة المعركة، بينما كانت إنجازات المحاربين في عصر أرخيلوخوس تعتمد بصورة مباشرة على قدرة هؤلاء المحاربين على الاستمرار في الحرب، لذا لم يكن هناك مكان للتقدير الذي تغنى به هوميروس، بل كان حفاظ المرء على حياته أهم من كل شيء، ومن هنا لم تكن أسلحة هوميروس أهم من حياة المحارب عند أرخيلوخوس، لذلك لم يجد البطل الأرخيلوخوي غضاضة في ترك أسلحته وراءه وتركها لعدوه في سبيل إنقاذ حياته،

فيقول في الشذرة الخامسة:

ασπιδι μεν Σαιων τις αγαλλεται, ην παρα θαμνωι,
εντος αμωμητον, καλλιπον ουκ εθελων·
αυτον δ᾽ εξεσαωσα. τι μοι μελει ασπις εκεινη;
ερρετω· εξαυτις κτησομαι ου κακιω.

افتتن أحد السابين بدرعي، فألقيته تحت شجيرة،
بلا اكتراث، لقد تركته ورائي رغمًا عن إرادتي.
ولكني أنقذت نفسي، فهي عندي أهم قيمة من درعي؛
فليأخذه ويرحل. فسوف أحصل على (درع) جديد لا يقل عنه.

تتعارض هذه الأبيات مع ما جاء في الإلياذة على لسان هيكتور (ο Εκτωρ)، حين يقول:

ου μιν εγωγε
φευξομαι εκ πολεμοιο δυσηχεος, αλλα μαλ᾽ αντην
στησομαι, η κε φερῃσι μεγα κρατος, η κε φεροιμην.
ξυνος Ενυαλιος, και τε κτανεοντα κατεκτα.

لن أهرب منه بعيدًا عن صخب المعركة الدامية.
بل سأواجهه، وجهاً لوجه، وإذا فاز هو بالنصر أو فزت أنا فإله الحرب
إنياليوس نزيه لا يحفل بالأشخاص، ومن قتل يُقتل في الغالب.
(الكتاب الثامن عشر، الأبيات ٣٠٦ – ٣٠٩)

إلا أن هذه الأبيات تكون نتاج تأثر أرخيلوخوس بقول أخيليوس في الإلياذة:

ου γαρ εμοι ψυχης ανταξιον ουδ᾽ οσα φασιν
Ιλιον εκτησθαι ευ ναιομενον πτολιεθρον
το πριν επ᾽ ειρηνης, πριν ελθειν υιας Αχαιων,

ουδ' οσα λαινος ουδος αφητορος εντος εεργει
Φοιβου Απολλωνος Πυθοι ενι πετρηεσσῃ.

أنه لا شيء يساوي روح الإنسان، ولا حتى الثروات
الضخمة التي يقال إن مدينة إليون العامرة كانت
تملكها وقت السلم، قبل مجيء الأخيين،
ولا حتى كل ما يوجد في معبد أبوللون الوضاء.
(الكتاب التاسع، الأبيات ٤٠١ -٤٠٥)

إلا أنها تؤكد فكر هوميروس في الأوديسية، والذي انحصر في عودة البطل أودسيوس د؟.سالمًا إلى وطنه، فإذا كان أرخيلوخوس لا يشعر بالحياء في التنازل عن درعه من أجل إنقاذ حياته، فإن أودسيوس تخلى عن كل شيء لدرجة أنه عاد إلى وطنه وهو يرتدي ملابس متسول، وقد يبدو أن المفهوم البطولي الأخيلي والذي يفضل الحياة القصيرة مع المجد بدلاً من الحياة الطويلة بلا إنجازات، لم يعد يجد قبولاً عند كل من أودسيوس وأرخيلوخوس اللذان اعتقدا في أن إنقاذ المرء لحياته والعودة بسلام إلى الوطن أفضل من الموت على أرض المعركة[٢١].

ومع ذلك تعرض أرخيلوخوس للهجوم من جراء هذه الأبيات فمن ناحية صوره النقاد أنه كان معارضًا للنموذج الهوميري البطولي، فقد كانت الحرب أحد المهام الأولية لليونان القديمة، ومن ناحية أخرى كانت إسبرطة وتبنيها للأفكار البطولية الهوميرية، هما أهم القيم السائدة في ذلك العصر، ولذلك لم يكن من الغريب أن يتعرض أرخيلوخوس وشعره للنبذ من قبل إسبرطة[٢٢]. وقد أدعى كريتياس أن أرخيلوخوس تحدث عن الحرب بوصفها أكثر الأعمال المخيبة للآمال، فهي أسوأ من أن تكون"وحشية" (λαγν-ος)، أو "باعثة على الفسق" (υβρ-ιστης)، ومع ذلك تظل الحقيقة الثابتة هي أن أرخيلوخوس لجأ إلى هذا الأسلوب لكي يظهر التعارض بينه بوصفه إنسان وبينه كمجرد أداة بإضافة الصفة (αμηχητος) (بلا خجل). فالحياة لها قيمتها بعيدًا عن إدعاءات الفضيلة. وفي مكان آخر يقول أن المتوفى يكون بلا مجد. ومجمل القول كانت فردانيته (ارتفاعه بقيمة الفرد فوق أي

شيء) تسمو بشخصياته لدرجة أنه يمكن مقارنتهم بالأبطال الهومريين. والجدير بالذكر أن هذه الأبيات بموقفها من الرضا بحقائق الحياة القاسية، تشابه في موضوعاتها الرئيسة بعض الشذرات الأخرى له. ووجهة النظر التي تعبر عنها تلاءم احتياجات المغامرة لتأسيس مستعمرات جديدة، أو حياة الجندي المرتزق الذي ينتقل من حرب لأخرى ليحيا حياة شريفة، وليس الموت في شرف. [٢٣]

ثالثًا: النموذج البطولي بين هوميروس وأرخيلوخوس

سبق وأشرنا إلى أن القالب الفني يلعب دورًا مهمًا في تحديد هدف الكاتب، ولكن هذا الشرط لا يتحقق إلا بتوافر الشخصيات ذات الأبعاد الملائمة للعمل الفني، فعلى سبيل المثال، تكون الشخصية تراجيدية لأنها ذات أبعاد تراجيدية، وليس فقط لأنها تشارك في أحداث عمل تراجيدي، وكذلك الشخصية المشاركة في الملحمة، لا تكون ملحمية لمجرد مشاركتها في الأحداث، فعلى سبيل المثال كانت أفروديتي (η Αφροδιτη) السبب الرئيس لنشوب حرب طروادة، وشاركت في أحداث كثيرة من أحداث الإلياذة، إلا أننا لا نستطيع أن نطلق عليها شخصية ملحمية، فهي لا تحمل أية أبعاد ملحمية. بينما كانت ميديا (η Μηδεια) شخصية تراجيدية لأنها تحمل بين جنباتها أبعاد الشخصية التراجيدية، والتي يأتي على رأسها عدم قدرة الشخصية التراجيدية على التوافق أو الإنسجام مع القوانين الموضوعة، فالشخصية التراجيدية لهاد مبادئها وقوانينها الخاصة والتي تتناقض في أغلب الأحوال مع قوانين المجتمع الذي يعيش فيه، أم شخصية البطل في الشعر الغنائي فلابد أن تكون ذات أبعاد اجتماعية، فهدف الشعر الغنائي هو إلقاء الضوء على تأثير القوانين الاجتماعية على الإنسان[٢٤].

وعلى الرغم من اختلاف الأبعاد الملحمية للبطل الملحمي عن الأبعاد الاجتماعية للبطل الغنائي، أو بصورة أخرى الاختلاف الصارخ بين شخصية أخيليوس والجندي المرتزق الذي يتخذ من الحروب وسيلة لكسب العيش، إلا أنهما يظلان في النهاية رمزا للبطل عند كل منهما، أو هما وسيلة كل مجتمع لتحقيق أهدافه، فمن ناحية كان أخيليوس هو النموذج القادر على تحقيق أهداف مجتمعه

وبالتحديد الانتصار على الطروادبين، ومن ناحية أخرى كان الجندي المرتزق هو الشخصية المحورية في مجتمع أرخيلوخوس، الذي كان يعتقد في أن قيمة المحارب تكمن في قدرته على الاستمرار في الحرب والخروج منها حيًا[٢٥].

وبالإضافة إلى ذلك كانت الشخصية الرئيسة تفقد قيمتها أو أبعادها المميزة لها إذ لم تحقق الفائدة الاجتماعية المرجوة منها ولذلك نجد باتروكلوس يقول لأخيليوس عندما قرر عدم الاشتراك في الحرب:

τι σευ αλλος ονησεται οψιγονος περ

αι κε μη Αργειοισιν αεικεα λοιγον αμυνῃς;

يا لها من قوة ملعونة، ولكن أي جيل تال سيفيد منك ومن قوتك

إن لم تدفع عن الأرجيين هذا الدمار المخزي.

(الكتاب السادس عشر، الأبيات ٣١- ٣٢)

وهذا ما يؤكده أرخيلوخوس في حديثه مع صديقه جلاوكوس في (الشذرة الخامسة عشر)[٢٦].

Γλαυκ', επικουρος ανηρ τοσσον φιλος εσκε μαχηται,

جلاوكوس: إن الجندي المرتزق هو أجدر صديق ما دامت الحرب قائمة

يتفق مضمون هذا البيت مع المبدأ الأخلاقي القائل " أن تكون طيبًا مع أصدقائك وسيئًا مع أعدائك" وهو المبدأ الذي تبناه هوميروس في إلياذته، ووفقًا لما جاء عند " جينيو كيم" (Junyo kim) أطلق عليه هوميروس نعت "الشفقة"، بل والأكثر من ذلك كان خطأ أخيليوس التراجيدي في الإلياذة هو عدم استجابته لتوسلات أصدقائه وعدم وقوفه بجانبهم في حربهم وفقًا لمبدأ الصداقة الذي يربط بينهم[٢٧].

ويعبر أرخيلوخوس عن وجهة نظر هذه، ويجعلها أكثر قوة باستخدامه اللغة التي توحي بالجو الملحمي، لأنه بهذه الطريقة يسير على نهج النمط الملحمي في وصفه للحرب، وفي الوقت نفسه يستخدم نبرة تهكمية للوضع الاجتماعي لجيله. وباختصار نستطيع القول إن أرخيلوخوس استخدم العبارات والموضوعات التي يقبلها كل جيل بوصفها تكملة للشعر في عصره، ولكنه لا يستخدمها فقط لأنها

مفروضة بقوة لأهداف خاصة لوسيلة مؤثرة في الأنماط الحربية، ولكن بهدف توظيفها في التعبير عن أفكاره.

وإذا كان هوميروس وجد مادته الشعرية في الملوك والأمراء، وجد أرخيلوخوس نموذجه في الجندي المرتزق، الذي يسخر من كل القيم الهوميرية، فمهمة الجندي المرتزق تخلو من الرومانسية، وقيمته تظهر فقط ما دامت الحرب قائمة، فيقول أرخيلوخوس في (البيت الأول من الشذرة رقم ٢١٦):

και δη ᾽πικουρος ωστε Καρ κεκλησομαι.

وسوف أطلق على نفسي لقب جندي مرتزق، كما لو كنت من كاريا.

لم يجد أرخيلوخوس غضاضة في تشبيه نفسه هو وأبناء جيله بالجنود المرتزقة، فرجال أرخيلوخوس كانوا من العامة الذين يحاربون من أجل اكتساب رزقهم الذي يعينهم على الحياة، وليس من أجل الموت في شرف، وبينما اهتم هوميروس بالحديث عن المجد الذي ينتظر أبطاله، اهتم أرخيلوخوس بالحديث عن قوت يوم المحارب، وقد وجد أرخيلوخوس في الجندي المرتزق (ο επικουρος) غايته، فرجال أرخيلوخوس كانوا هم الجنود المرتزقة، والجدير بالذكر أن عبارة "الجندي المرتزق" لم يكن المقصود بها محاربين أجانب فقط، بل كان هناك جنود يونانيين يحاربون في صفوف جيوش المدن الأخرى مقابل مبلغ من المال، ولم يكن المقصود بهم أولئك الجنود الذين أشار إليهم أفلاطون في جمهوريته، والذين اقتصر دورهم على حفظ نظام الدولة ومنع حدوث أي عصيان مسلح، ولعل هذا هو السبب الذي جعل أرخيلوخوس يطلق على نفسه لقب "الجندي المرتزق" دون شعور بالمهانة[٢٨].

وبينما كان هوميروس يصر على أن مصير المحاربين يجب أن يتحدد على أرض المعركة، وقد تكررت هذه النصيحة على ألسنة القادة الأخيين والطرواديين على السواء- كما يجب عليهم أن يرقوا إلى مستوى المناسبة وأن يكونوا رجالاً، وأن يكونوا متأهبين لكي يقتلوا أو يُقتلوا.

ω φιλοι ηρωες Δαναοι θεραποντες Αρηος

ανερες εστε φιλοι, μνησασθε δε θουριδος αλκης.

أي أصدقائي، أيها الأبطال الدانائيون، يا أتباع أريس

كونوا رجالاً، أيها الأصحاب، واستنفروا قوتكم الباطشة.

(الكتاب الخامس عشر، البيت ٧٣٣ وما يليه)

τω εν χερσι φοως, ου μειλιχιη πολεμοιο.

ولذا فإن نور الخلاص يكمن في قوة أيدينا وليس في التقاعس عن الحرب.

(الكتاب الخامس عشر، البيت ٧٤١)

فهوميروس يعتقد أن التكريم الذي يلقاه أبطاله في مجتمعاتهم يفرض عليهم إما العودة منتصرين، تعبيرًا عن جدارتهم بهذا التكريم الذي حصلوا عليه مسبقًا، أو الموت على أرض المعركة تعبيرًا عن جدارتهم بالمجد الذي سيحصلون عليه. كانت إنجازات المحاربين في عصر أرخيلوخوس تعتمد بصورة مباشرة على قدرة هؤلاء المحاربين على الاستمرار في الحرب، لذا لم يكن هناك مكان للتقدير الذي تغنى به هوميروس، بل كان حفاظ المرء على حياته أهم من كل شيء[٢٩].

كان أرخيلوخوس مثله مثل كثير من المحاربين الذين يكتبون الشعر، ولعل هذا يفسر عدم التزامه بالأوزان القياسية للشعر الغنائي، فهمه الأول كان التعبير عن المعاناة التي يلقاها بوصفه محاربًا، اتخذ من الحرب وسيلة لكسب العيش، وانحصرت آماله في العثور على وطن يعيش فيه بسلام، ويتضح ذلك من قوله في الشذرة رقم (١٢٥):

μαχης δε της σης, ωστε διψεων πιειν,

ως ερεω.

إني في شوق للقتال معك، مثل اشتياق الرجل الظمأن إلى الارتواء.

يعبر هذا البيت عن شخصية أرخيلوخوس الحقيقية، فهو المحارب الشاعر، الذي، من ناحية، يستخدم ألفاظًا شعرية رقيقة للتعبير عن شجاعته، ورغبته في القتال، التي عبر عنها بكلمة الظمأ (η δίψα) وفضلا عن أن الظمأ من أقوى الأحاسيس الإنسانية، إلا أنه يعبر عن شدة الشوق[٣٠].

كما يقول في الشذرة الأولى:

ειμι δ' εγω θεραπων μεν Ενυαλιοιο ανακτος
και Μουσ4εω4ν ερατον δωρον επισταμενος, [31]

هذا هو أنا الرفيق الأمين للملك آريس
وأنا القادر على استيعاب الهدايا الرائعة لربات الشعر

إن شخصية الجندي المرتزق عند أرخيلوخوس هي مزيج من شخصية أخيليوس في الإلياذة وشخصية أودسيوس في الأوديسية، فهو يتفق مع أخيليوس في أن كل منهما قد حُرم من المرأة التي أحبها، وهذا الحرمان، وفقًا للفكر الإغريقي المعروف بالعبارة (φιλοτιμο)، كان بمثابة إهانة تسلبه فضيلته، ولذلك كان رد فعلهما متشابهًا والذي تمثل في الهجوم القاسي على الذين حرموهما من تلك الفضيلة[٣٢]، وقد تمادى كل منهما في التعبير عن سخطه بسبب الإهانة الشخصية التي عانى منها، وكانت المناداة بالقيمة الأخلاقية التي تنص على أنه يجب على البشر أن يكونوا أمناء في تعاملهم مع الآخرين، هي وسيلتهما لتحدي الإهانة.

ولكن إذا كان أرخيلوخوس يتشابه مع أخيليوس فكلاهما يغني من أجل مشاعره الشخصية، ويبكي قدره مع من أحبها، فقد حُرم كل منهما من فتاته، وقد ترتب على ذلك رحيل أخيليوس من أرض المعركة وبقاءه بجانب سفنه يرقب ويرجو هزيمة اليونانيين، أما أرخيلوخوس فقد أُصيب بخيبة أمل، جعلته يتهكم على كل شيء ويسخر منه، وأصبح التهكم والسخرية من سمات أسلوبه في معالجة موضوعاته[٣٣]

ومن ناحية أخرى كان أودسيوس هو البطل النموذجي عند أرخيلوخوس، فهو الإنسان الذي يضحي بكل شيء من أجل العودة إلى الوطن، كما أن تأثير أودسيوس[٣٤] على أرخيلوخوس يتضح جليًا من قوله في الشذرة رقم (١٣٠):

τοις θεοις †τ' ειθειαπαντα· πολλακις μεν εκ κακων
ανδρας ορθουσιν μελαινηι κειμενους επι χθονι,
πολλακις δ' ανατρεπουσι και μαλ' ευ βεβηκοτας

υπτιους, κεινοις <δ'> επειτα πολλα γινεται κακα,
και βιου χρημηι πλαναται και νοου παρηορος.

على رغبة الآلهة يتوقف كل شيء. ففي مرات كثيرة عندما
يسقط الرجال منبطحين على الأرض بشرورهم، فإنهم (يساعدونهم) على
الوقوف مرة ثانية،
وفي مرات أخرى، عندما يقف الرجال شامخون ويبدو كل شيء رائعًا
فإنهم يلقون بهم على ظهورهم، وعندئذ يقعون في مأزق.
والإنسان يمضي هائمًا في حياته بعقل مشتت.

مذكرًا نفسه بأنه قد واجه مشكلات ومواقف مخزية أقوى مما يواجهه الآن، وهنا لا تحمل هذه الأبيات أي معنى إضافي أكثر من كونها ناتجة عن التأثير الملحمي عليه[٣٥].

كما يقول في الشذرة ١٧٧

ω Ζευ, πατερ Ζευ, σον μεν ουρανου κρατος,
συ δ' εργ' επ' ανθρωπων οραις
λεωργα και θεμιστα, σοι δε θηριων
υβρις τε και δικη μελει.

لبيك يا زيوس، زيوس يا والد كل شيء،
في مملكتك السماوية،
أنت تشاهد أفعال البشر، الماكرة والصائبة،
وأنت الذي تهتم بانتهاكات الوحوش والعدالة.

كما توجد شذرة أخرى (الشذرة ١٣) تعد واحدة من أكثر موضوعاته جدية، وقد تم النظر إليها بوصفها أفضل مثال للتأثير الملحمي على قصائد أرخيلوخوس

κηδεα μεν στονοεντα Περικλεες ουτε τις αστων
μεμφομενος θαλιηις τερψεται ουδε πολις·

τοιους γαρ κατα κυμα πολυφλοισβοιο θαλασσης
εκλυσεν, οιδαλεους δ᾽ αμφ᾽ οδυνηις εχομεν
πνευμονας. αλλα θεοι γαρ ανηκεστοισι κακοισιν
ω φιλ᾽ επι κρατερην τλημοσυνην εθεσαν
φαρμακον. αλλοτε αλλος εχει τοδε· νυν μεν ες ημ4εα4
ς
ετραπεθ᾽, αιματοεν δ᾽ ελκος αναστενομεν,
εξαυτις δ᾽ ετερους επαμειψεται. αλλα ταχιστα
τλητε, γυναικειον πενθος απωσαμενοι.

لا يوجد رجل في مدينتنا يا بركليس سوف يسعد في الاحتفالات مثلما يتجرع ولمثل هؤلاء الرجال الذين تغمرهم موجات البحر الهائج، فإن الحزن يملأ صدورنا.
ولكن الآلهة، يا صديقي، تمنحنا الترياق لكل الجراح الميئوس منها.
فالبشر يتبادلون في تذوق الآلام. والآن قد حل دورنا،
فنحن مبتلون ومصابون بالحزن بسبب جراحنا الدامية، ولكن غدا سوف يأتي الدور على آخرين. لذا عليك أن تتحمل وأن تهجر نحيب النساء

الخاتمة:

يتضح مما سبق أن الشاعر، سواء كان ملحميًا أو غنائيًا، يعتمد في معالجة بعض الموضوعات الإنسانية على بعض الصور البلاغية، وشريطة نجاح تلك الصور البلاغية في التعبير عن أهداف الكاتب هو توافر ثلاثة أبعاد يمكن تحديدها في النقاط الآتية:

١. البعد الديني، والذي يمكن تحديده في رغبات الآلهة.

٢. البعد الاجتماعي، والذي يمكن تحديده في أهداف المجتمع.
٣. البعد الإنساني (الذاتي) والذي يمكن تحديده في تحقيق رغبات المرء.

ونجاح تلك الصور يتوقف على مدى التوافق والإنسجام بين تلك الأبعاد الثلاثة، فلابد أن يتفق الهدف الاجتماعي مع رغبة الآلهة وفي الوقت نفسه يحقق المرء ذاته من خلال ما يقوم به من أعمال. وكانت الأسلحة هي الوسيلة التي يحقق بها البطل البُعد الإنساني. وهذا هو ما حدث في الإلياذة، فإشتراك أخيليوس في حرب طروادة كان، من ناحية، تحقيقًا لرغبة الآلهة (النبوءة)، ومن ناحية أخرى تحقيقًا لأهداف المجتمع (تدمير مدينة طروادة) وأخيرًا تحقيق المجد الشخصي لأخيليوس. وعندما فقدت شخصية أخيليوس، بوصفه صورة بلاغية، تعبر عن أفكار هوميروس، أحد تلك الأبعاد، وهو إحساسه بعدم جدوى دوره في المجتمع الممثل في وجوده في تلك الحرب، بل وبعدم شرعية تلك الحرب، أعلن إنسحابه، وتحول الأمر إلى موضوع شخصي. وبدلاً من أن تتحد تلك الأبعاد الثلاثة تصارعت، وفقد أخيليوس إيمانه بدوره. ومن ثم حق عليه العقاب، والذي تجسد في موت صديقه باتروكلوس وهو يرتدي أسلحة أخيليوس الشخصية، وبفقدان تلك الأسلحة فقد أخيليوس ذاته، فقد فقد وسيلته التي يحقق بها ذاته وفي الوقت نفسه دوره الاجتماعي، وأصبح عنصرًا لا فائدة منه، فحرمه المجتمع على يد هوميروس من سماته التي كانت تميزه عن الآخرين.

وقد يعتقد البعض أن مأساة أخيليوس قد انتهت بحصوله على أسلحة جديدة من صنع الآلهة، ولكن الحقيقة هي أن أخيليوس أصبح وسيلة تنفيذ رغبات الآلهة، ولكن لازال البعد الإنساني غائبًا عنه في حربه ضد الطرواديين، ولم يتحقق البعد الإنساني إلا أن لقائه مع بريأموس، الذي أعاد إليه إنسانيته من خلال إدراكه لأبعاده الإنسانية، والحدود الفاصلة بين الآلهة والبشر.

أما فيما يتعلق بأرخيلوخوس، فقد كان أكثر واقعية، فعلى الرغم من أهمية الأسلحة في تحقيق البعد الإنساني والذي يمكن تحديده في الإحساس بالأمان من خلال العثور على وطن جديد، إلا أنه كان أكثر صراحة أو مباشرة، فقد أقر منذ البداية

بإرتفاع قيمة الفرد فوق الأسلحة، وقد اختلف مع هوميروس في أن البعد الاجتماعي يجب أن يكون لصالح الفرد، وليس كما اعتقد هوميروس في أن الفرد في خدمة المجتمع على الرغم من اتفاقهما في أن هذا الأمر يتم وفقًا لرغبات الآلهة.

فبينما كان أخيليوس يبكي فقدانه لأسلحته كان أرخيلوخوس يتهلل فرحًا لأنه أنقذ حياته على حساب أسلحته، ففي الوقت الذي اعتقد فيه هوميروس أن الأسلحة هي التي تُكسب الإنسان أبعاده الاجتماعية، اعتقد أرخيلوخوس أن الأسلحة مجرد وسيلة لتحقيق أهداف المرء، ومن ثم ليس عليه أن يقدم حياته فداء لتلك الأسلحة، والتي سيفقدها على أية حال في حال موته.

إن اختيار الكاتب لشخصيته الرئيسة يتوقف على نوعية العمل الفني، فالملحمة تستلزم وجود أشخاص بطولية ذات أبعاد اجتماعية سامية، بينما كان الشعر الغنائي عند أرخيلوخوس يهتم بالمشكلات الاجتماعية لجيل كامل يبحث عن فرصة في الحياة، وبالتحديد عن وطن جديد، ليبدأ حياة جديدة، وكان على جيل أرخيلوخوس تحقيق ذلك الحلم بنفسه، فأصبحوا جنودًا، ولكن بسبب تأخر تحقيق الحلم، إنشغل جنود أرخيلوخوس بالحروب، حتى أصبحوا جنودًا مرتزقة يرتزقون من وراء تلك الحروب، وعلى الرغم من أهمية الأسلحة وأبعادها الاجتماعية والإنسانية عند أرخيلوخوس إلا أنها ظلت وسيلة ولا ترقى إلى أن تكون أكثر أهمية من حياة الإنسان ذاته.

وقد يعتقد البعض أنه لا يجوز مقارنة شخصية أخيليوس بشخصية الجندي المرتزق، ولكن الحقيقة هي أن شخصية الجندي المرتزق كانت أكثر شجاعة من شخصية أخيليوس، ففي الوقت الذي هجر فيه أخيليوس المجتمع وتنازل ببساطة عن دوره المقدر له سواء من جانب المجتمع أو الآلهة، لمجرد شعوره بخيبة أمل في مصداقية قائده، نجد أرخيلوخوس يحول خيبة أمله إلى دافع جديد للبحث عن وطن جديد، أو بالأحرى عن بداية جديدة، وكانت خيبة أمله الحقيقية هي عدم مصداقية المجتمع في تأسيس مجتمع جديد يمنح أفراده الأمن والأمان.

الحواشي

١ - وفقًا لما جاء عند شيشرون (Cic. Tusc. 1, 1, 3,) أنه عاش في عصر رومولوس، ووفقًا لـ (Nep. ap. Gell. 17, 21, 8,) كان معاصرًا لتيليوس هوستيليوس، ونسب إليه ابتكار الشعر الإيامبي، إلا أنه وفقًا لما جاء عند جاكوبي (Jacopy) عاش أرخيلوخوس في الفترة ٦٨٠- ٦٤٠ ق.م. وكان معاصرًا لجيجيس، الذي كان ملكًا لليديا في الفترة من عام ٦٨٧ إلى ٦٥٢ق.م.وفضلاً عن الإشارات الموجودة في قصائده والتي تؤكد هذا الرأي، فعلى سبيل المثال: إشارته إلى خسوف الشمس (الشذرة رقم ٧٤) والذي حدث تقريبًا في ٦ أبريل عام ٦٤٨، أو على الأقل الذي حدث في ٢٧ يونيو ٦٦٠ق.م.، كما يشير هيرودوتوس إلى أن أسلوب أرخيلوخوس في القصيدة التي كتبها حول إنجازات جيجيس، يوحي بأن جيجيس كان لايزال على قيد الحياة عندما كتبها، وللمزيد أنظر:

Hor. Ep. 1, 19, 23 sq.; id. A. P. 79; cf. Quint. 10, 1, 60.—Hence, Archĭ-lŏchīus, a, um, adj., *Archilochian*: metrum, Diom. p. 509 sq. P.; Serv. Centim. p. 1819 sq. P.; also an appel. for *severe*, *bitter*, *acrimonius*: edicta, Cic. Att. 2, 21.

عن جيجيس أنظر:

Muller, Fragmenta historicorum Graecorum, iii.; R. Schubert, Geschichte der Konige von Lydien (1884); M. G. Radet, La Lydie et le monde grec au temps de Mermnades (1892-1893); H. Gelzer, "Das Zeitalter des Gyges" (Rhein. Mus., 1875) H. Winckler, Altorientalische Forschungen, i. (1893); Macan's edition of Herodotus. (A. H. S.)

David A. Campell. Greek Lyric Poetry, A Selection of early Greek Lyric, Elegiac and Iambic Poetry. Bristol Classical Press. 137 .Rankin. H.D., Arhilochous of Paros. Noyes Classical Studies. 1977. p 22. Hdt. 1.12.2ا

2 - P.E. Easterling and B.M.W. Knox. The Cambridge History of Classical Literature, Vo. 1. Part 1. Early Greek poetry .Cambridge university press.1986. p. 76... Kritias.fr. 44 D-K

3 - Rankin. H.D. 1977. P.15

كان أرخيلوخوس في طريقه لأحد الأسواق لبيع بقرة، فقابلته بعض النساء الجميلات، وسألنه إذا كانت هذه البقرة للبيع فأجابهم نعم، وفجأة اختفت البقرة هي والنساء ووجد أرخيلوخوس فلوت مكانهن. وبعد ذلك بقليل تلقى أبوه نبوءة من معبد دلفي تقول إن ابنه سيكون خالداً ومشهوراً.

4- Adkins. A. W.H. " Values, Goals, and emotions in the Iliad". Classical Philology. V.77. 1982. Pp. 292-

٥ ـ للمزيد عن هيلين أنظر:

Helen M. Luke. Woman Earth and Spirit: The Feminine Symbol and Myth (Paperback - Mar. 1984)

٦- ـ عن هذا الموضوع أنظر Martin (p. 181) حيث يقول عن أخيليوس " يظهر أخيليوس هو يرفض أسباب الحرب ضد طروادة" ويقول Parry (p. 6.,n.2) " نشعر أن الترتيب للحرب نفسها يكون محل تساؤل مثلما حدث في الكتاب الأول، الأبيات ١٥٢ـ ١٥٧)

للمزيد أنظر: شفقة أخيليوس، جينيو كيم، ترجمة محيى مطاوع، المركز القومي للترجمة. ٢٠٠٩

محيى مطاوع، الأبعاد الإنسانية لشخصية أخيليوس في الإلياذة. مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة

٧ ـ شفقة أخيليوس، جينيو كيم، ترجمة محيى مطاوع، المركز القومي للترجمة. ٢٠٠٩

8 - Adkins. A. W.H. (1982). pp. 297ff

9 - David A. Campell. 1977. p 24

10- Rankin.(1977).p.40. P.E. Easterling and B.M>W. Knox, p. 78

11 - P.E. Easterling and B.M>W. Knox. 1986. .p. 77

وقد اختلفت الأراء حول نوعية ما يكتبه من شعر، فالدارسون السكندريون لم يدرجوا اسمه ضمن أسماء الشعراء الغنائيين التسعة (λυρικοι)، فهو لم يكن شاعرًا غنائيًا وفقًا لمعاييرهم، فقد كان يستخدم أوزانًا إيامبية وتروخية وداكتيلية، ووفقًا لمعاييرهم لم تكن تلك الأوزان مُستخدمة عند باقي الشعراء الغنائيين. ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن معظم النقاد أقاموا تحليلاتهم على أساس أن شعره كان بمثابة رواية ذاتية، وقد اعتمدوا في ذلك إلى أن الشخص الأول الموجود في قصائده يشير إلى أرخيلوخوس نفسه في حياته الحقيقية. وعلى الرغم من أن ما جاء عند أرسطو في كتابه المعروف باسم "الريطوريقا١١" يفيد أن استخدام الصيغة الشخصية التي تتحدث عن الشخص الأول وبعض العبارات مثل "هنا" و"الآن" كان أمرًا مألوفًا في الأعمال الدرامية؛ وقول بعض الباحثين إن هذا الأسلوب في إلقاء الشعر كان معروفًا في العصور القديمة عند إلقاء نوع من الشعر المعروف باسم ايامبوس.

Fowler, R.L., The Nature of Early Greek Poetry. University of Toronto Press. 1987.

12 - Rankin. (1977). p. 7

13 - David A. Campell. 1977. p 25

14 - Ibid. 136

١٥ ـ للمزيد أنظر:
محيى مطاوع: الأبعاد الإنسانية لشخصية أخيليوس في الإلياذة.
نفسه: شفقة أخيليوس

16 - Rankin. H.D., 1977. p.42. cf. Harris. Archilochus .First Poet after Homer. ARCILOCOU TA APOSPASMATA.Middlebury College. 1982. p. 38

17 - Rankin. (1977) p. 43

18 Archilochus, Frag. 2 D Author(s): Victor Ehrenberg Source: Classical Philology, Vol. 57, No. 4 (Oct., 1962), pp. 239-240 Published by: The University of Chicago Press Stable URL. Cf. David A. Campell. (1977).. P. 140F .C.M. Bowra. Anales de Filologia Clasica 6 (1954),

وقد تعرضت هذه الشذرة إلى العديد من التفسيرات، وقد استندت معظم التفسيرات على افتراض أن العبارة (ἐν δορὶ) لها المعنى نفسه في المرات الثلاثة التي تكررت فيها. وكان المقصود بها (على رمحي). ومعظم التفسيرات الحديثة اتخذت من وجهة نظر باورا نقطة بداية لتفسيراتهم. حيث يقول يجب أن يكون لهذه العبارة المعنى نفسه في الجملتين اللاحقتين "على رُمحي" بينما يفترض دافيدسون أنها تعني " مزوداً برمحي"

والاستخدامان لـ εν غير متوازيان، ولكن الاستخدام في القصيدة الأولى يرمز إلى استخدامه اليدوي.

ويتحدث أرخيلوخوس عن حياة الجندي مثلما فعل هيبرياس الكريتي في عمله:

seclion. “ap. Ath. 15.695f. P.M.G. 909)
(εστι μοι πλουτος μεγας δορυ και ξιφος

وفيما يتعلق بالعبارة الثالثة، المتعلقة باستناد أو اضطجاع الشاعر على رمحه، لا نستطيع أن نكون على يقين للوضع المُشار إليه بالكلمة (κεκλιμένος) فهو قد يضطجع وهو مستندًا على الحائط أو شيء آخر، وقد اعتقد البعض أن وضعه وهو مضطجع كان الوضع المألوف في الاحتفالات الإغريقية١٨، ولكن الحقيقة هي أن وضع الجندي هنا كان متعلقًا بأسلوب اليونانيين في الاسترخاء في أثناء وقوفهم بالاستناد على رماحهم أو أسلحتهم، فالرمح كان طويلاً بما يكفي، وخير دليل على ذلك هو أن الربة أثينة كانت تستخدم رمحها كدعامة، حيث نجد يديها تمسك بجذع الرمح.

ويقول (David A. Campell)صـ ١٤٣: إن إصرار النقاد على تأصيل كل العبارات الأرخيلوخية بوصفها هوميرية، قد أجبرهم على مقارنة نبيذ الجندي الإسماركي (Ἰσμαρικος) بالنبيذ الذي استخدمه أودسيوس في خداع الكيكلوبس (الأوديسية، الكتاب التاسع، البيت ١٩٦ ومايليه، والبيت ٣٤٥)، وإذا سلمنا بأنه هو النبيذ نفسه وله القوة نفسها، فهذا يعني أن الجندي الذي سوف يتناوله لن يقدر على القيام بمهمته، فالمكان اللائق لهذا النبيذ هو حفلات الشراب، وليس كحصة طعام جندي، ونقلاً عن "ديفيد" يقول "كامبل" ليس كل النبيذ الإسماركي له القوة نفسها، كما أن أرخيلوخوس لم يكن يقصد نبيذ أودسيوس، وفي الإلياذة يقول هوميروس إن هذا النبيذ كان هدية لأودسيوس من كاهن أبوللون في إسماروس، ومن ثم فإن

النبيذ الذي يشير إليه أرخيلوخوس هو نبيذًا عاديًا يستخدمه الجندي في ترطيب الخبز الجاف قبل تناوله، ومن ناحية أخرى يمنحه الدفء اللازم لمواجهة البرد القارص

18 قارن -Euripides, Frag. 691; Nauck2, 418; cor. adesp. 1203 K

37ff .seclion. “ap. Ath. 15.695f. P.M.G. 909. CF. Eipolis. Fr. 451. ανηρ αριστος ειναι ταλλα πλην εν ασπιδι

II. 13. 594, 608; 18. 521

19 Harris. W. 1982. p. 22

20 Fragmenta 5.1 to Fragmenta 5.4

21 Harris. 1982. p. 39f

22 Ibid. p.38f

23 - Rankin. H.D., 1977.p .43

٢٤ - عن أبعاد الشخصية أنظر: محيى مطاوع، الأبعاد الإنسانية لشحصية أخيليوس في الإلياذة. مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة. شفقة أخيليوس، جينيو كيم، ترجمة محيى مطاوع، المركز القومي للترجمة. ٢٠٠٩

25 - P.E. Easterling and B.M>W. Knox. 1986 p.80

26 - Podlecki. A. J. The Early Greek Poets and their imes. University of British Columbia Press. Vancouver. 1984. p. 41

٢٧ - (شفقة أخيليوس، جينيو كيم، ترجمة محيى مطاوع، المركز القومي للترجمة ٢٠٠٩صـ ١٠، وللمزيد عن مفهوم الصداقة أنظر:

28 - P.E. Easterling and B.M>W. Knox.1986. p 85.

29 Adkins. A. W.H. “ Values, Goals, and emotions in the Iliad”. Classical Philology. V.77. 1982. pp. 292ff

30 - Harris. W. 1982. p. 36

31 - Fr.1. 1-2. David A. Campell. Greek Lyric Poetry, A Selection of early Greek Lyric, Elegiac and Iambic Poetry. Bristol Classical Press. p. 136f

نشرت بواسطة اثينايوس (Athenaeus 14. 627 b-c) بوصفها دليل على أن الأفكار القديمة تشجع عظمة القيم القومية، وقد يكون القدماء أيدوا مثل هذه الأفكار، إلا أنه لا يوجد ما يؤيد ذلك في تلك الأبيات، والحقيقة أنه أشار إلى جنديته قبل شعره: وفي العادة يقال إن الشذرة المختارة التي تبدا بـ (δε) أو (αλλα) ليس من الممكن أن تكون افتتاحية القصيدة، ولكن يوجد مساحة من الشك حول هذا الموضوع، فيوجد العديد من المختارات التي تبدو غير مألوفة كبدايات للقصائد (أنظر تيرتايوس الشذرة ٣، وسولون الشذرة ٣، اكسينوفون الشذرة ٢) وبعض قصائد ثيوجينيس تبدا بـ (δε) وقصائد أخرى تبدأ بـ (αλλα)، والعبارة Ευναλιοιο ... θεραπων ليست مذكورة عند هوميروس، إلا أنها قد تكون تحريفاً للعبارة (θεραπονας Αρηος) التي جاءت في الإلياذة الكتاب الثاني البيت ١١٠. الصفة (θεραπων) تأتي مع (Μουσαεων) ، وبناء على ذلك تكون الترجمة " أنا خادم أيضاً

لربات الشعر، مطلع على هداياهن المحبوبة". والعبارة (ερατον δωρον) أنظر الإلياذة الكتاب الثالث، البيت ٦٤ (δωρ' ερατα... Αφροδιτης) وعن هدايا ربات الشعر أنظر هيسيودوس (TH. 103)

والكلمة (Ἐνυαλίοιο) كانت تُستخدم بوصفها صفة لآريس إله الحرب31. أما الكلمة (θεράπων) فهي هوميرية وتعني " رفيق السلاح" أو "التابع" ولكنها لا تعني "خادم" مثلما تبدو من أول وهلة. كما أنها تُستخدم في المجالات الطبية بمعنى "الشخص الذي يعتني بالمريض تحت إشراف الطبيب"

وكلمة (δῶρον) لم تكن مجرد كلمة مجازية عن الشعر، فكما سبق وأشرنا أخذت ربات الشعر من أرخيلوخوس بقرته، وتركت له فلوت مكانها، وهذا الفلوت كان الآداة الموسيقية المصاحبة لإلقاء الشعر الملحمي، ومن ثم يمكن تفسير كلمة (δῶρον) بالقدرة على إلقاء الشعر الملحمي

32 - Rankin. H.D. 1977. p. 44

33 - David A. Campell. (1977). P. 137. cf .Archilochus, the Aoidos Author(s): James A. Notopoulos Source: Transactions and Proceedings of the American Philological Association, Vol. 97 (1966), pp. 311-315 Published by: The Johns Hopkins University Press. Plato Laws (658B). Rankin. 1977. P. 44

قصة حب أرخيلوخوس الفاشلة مع نيوبيلاي. فبعد أن تعاهدا على الزواج، غير والدها ليكامبيس رأيه وزفها إلى رجل آخر، مما أثار أرخيلوخوس وكتب عدة قصائد هجاء فيه هو وبناته، وكانت هذه القصائد بالغة القسوى لدرجة أن بناته أقدمن على الانتحار. وأعتقد أن صدمة أرخيلوخوس في قصة حبه، كانت الدافع الذي أقنعه بالرحيل إلى جزيرة ثاسوس. للمزيد عن قصة أرخيلوخوس وليكامبيس أنظر:

Archilochus and Lycambes Author(s): C. Carey Source: The Classical Quarterly, New Series, Vol. 36, No. 1 (1986), pp. 60-67 Published by: Cambridge University Press on behalf of The Classical Association

وعن وضع أخيليوس أنظر: شفقة أخيليوس، جينيو كيم، ترجمة محيى مطاوع، المركز القومي للترجمة. ٢٠٠٩

34 - od. 20. 18

35 - Rankin. H.D., 1977. p. 41